

فَلَا أُهْلِلُ الْمَطْرِيَّوَا

فَلَا أُهْلِلُ الْمَطْرِيَّوَا

٦٩ - العظمة الإلهية

أطلب متوسلا بعظمة ذلك الرب الجليل المنزه
بألا يتوقف إنجاز عمل إنسان على إنسان
عندما يتوقف غرض إنسان على إنسان
فتصبح أيامه بذلك عديمة الرونق والاحترام
الاحتياج محنة عظيمة وابتلاء فى الدنيا
تجعل من الأب أبناء، ومن الابن أبا
إذا كان المرشد يطمع فى تحقيق غرض من مريده
فإنه لا يكون له أى وقار أو اعتبار عند المريد
الزمن عديم الشكل بلا وجه ولا حياء
بحيث جعل الكفار يغلبون على الإسلام
فى لحظات يجعل الملك فقيرا، والفقير ملكا^(١)
لذلك يوصف هذا الفلك بأنه غير مستقيم السير
فالذى وضع التاج فوق رأسه فى عمره كله
يضع فوق رأسه حزمة من العلف والشوك

(١) المعنى مأخوذ من قوله تعالى ﴿قل اللهم ملك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك
ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير﴾ سورة
آل عمران ٢٦.

والذين لم يَكُونُوا قَادِرِينَ عَلَى دَرَاهِمٍ وَلَا دِينَارٍ
يَتَّخِذُ مِنْ رُؤُوسِهِمْ مَخْزَنًا لِلْكُنُوزِ وَالذَّخَائِرِ
إِنْ الزَّمَنُ قَدْ شَرَى قَلْبَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
لَيْسَ لَدَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ عِلْمٌ بِأَحْوَالِهِ

“ ٨٤٠ ”

‘ ٧٠ - الدموع الغزيرة ’

إِنْ قَدَرْنَا هَائِلًا مِنَ الدَّمُوعِ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِ بَغْزَارَةٍ
غَرِقَ فِيهَا صَدْرِي، وَكَذَلِكَ أَطْرَافِي وَجَوَانِبِي
إِنْ حَبِيبِي ذَلِكَ يَجْلِسُ فَوْقَ قِمَّةِ قَلْبِي وَفُوَادِي
كَأَنَّ إِنْسَانًا قَدْ وَضَعَ وَرْدَةً فَوْقَ تَاجِ الْعِمَامَةِ
مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الثَّعْبَانَ مَتَى يَصْعَدُ إِلَى السَّرِيرِ
فَإِنِّي قَدْ لَدَغْنِي ثَعْبَانُ الضَّفَائِرِ فَوْقَ السَّرِيرِ
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ عَيُونَ الْحَبِيبِ الْعَلِيلَةِ قَاتِلَةً
وإِلَّا، فَإِنَّ الْعَلِيلَ مَتَى يَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِالْقَتْلِ!
إِنِّي رَاضٍ لَوْ رَفَعْنِي الْحَبِيبُ إِلَى الْمَشْنَقَةِ بِكُلْتَا يَدَيْهِ
لَأَنَّ هُنَادَامَ الْحَبِيبِ وَقَامَةِ الْمَشْنَقَةِ كَقَامَةِ السَّرُورِ
كَفَى بِأَنِّي مَقْطُوعُ الْأَوْصَالِ مَجْرُوحًا بِسَبَبِ الْحَبِيبِ
مَا جَعَلَ اللَّهُ الْحَبِيبَ مَقْطُوعَ الْأَوْصَالِ مَجْرُوحًا مِثْلِي
هَذَا الْقَدْرُ الْكَبِيرُ مِنَ الْجُورِ الَّذِي يَظْلِمُنِي الْحَبِيبُ فِيهِ
لَا أَذْكَرُ إِنْ الْأَغْيَارَ قَدْ قَامُوا بِمِثْلِ هَذَا الظُّلْمِ

إن الحسان يخطفن القلوب بالسحر والشعوذة
تحدث عن المحبوب المرغوب الذى يخطف القلوب دون السحر والشعوذة
المحبوب الذى لا يالى بطاعة القلوب والانتقياد لها
ما الفائدة إن اختطف القلب من الإنسان؟
يتساقط مطر الدموع الغزيرة على صدره دائما
ومع ذلك فإنه لا يزول ولا يختفى غبار قلب عبد الرحمن المستديم

“ ٨٥٠ ”

‘ ٧١ - القلب المربوط بإحكام ’

لقد قيدت قلبك ” بالدنيا “^(١) وربطته بها بإحكام
فهل هذا العالم يا ترى؟^(٢) ملك لأبيك أو جدك؟
انظر وابحث عن أبيك وجدك، أين يوجد مقرهما
هكذا رحيلك وذهابك أنت بعد رحيلهما
إن السلف جسر للخلف يعبر به دائما
لم يستقر أحد أبدا فوق الجسر ساكنا
لست أنا الوحيد الذى يكلمك فى هذا الشأن
إن مئات الآلاف مثلك قد جاعوا وذهبوا

(١) بالدنيا: أضفت هذه الكلمة لتوضيح المعنى، والسياق يدل عليها.

(٢) يا ترى؟ عبارة أضفتها، وهى تبدو واضحة من السياق الشعرى.

ليس فى إمكانك أن تجعل بالادعاء الباطل ملك لك
 بلاد الغير، وأملاك الأجنيى، وديار الآخرين
 من يعيش ويسكن فى بلاد أجنبية غريبة
 لا يملك لنفسه اختيار الحرية فى أى شئ من الأشياء
 ولو أقسم بالله لإثبات أى أمر من الأمور
 فإن أحدا من الناس لا يعمل اعتبارا بالقسم للغرباء
 الزهر الذى يفتح فى الصباح باسم يتساقط فى المساء نائرا
 فما الأمنية التى تتحقق فى الاعتماد على أزهار الروضة؟
 سواء كان أخاك، أو قريبا لك، أو صاحبا لك فى الدنيا
 لا تعتبره أخا لك، ولا قريبا ولا صاحبا
 لأن كل ما نشأ ووجد فى العالم فقد صار فانيا
 إن هذا هو العالم يا عبد الرحمن وهذا هو عمله دائما

“ ٨٦٠ ”

‘ ٧٢ - جور الأغراب ’

إن أنت لم تقبل ولم تتحمل جور الأغراب
 فإنك لن ترى بعينيك وجهه الحبيب
 إن الشوكة هى التى تنبت أولا فى جانب الوردة
 عندئذ يفتح البرعم فى روضة الأزهار
 لن يدخل الجنة أحد أبدا بالرياضة الروحية
 إلا أنه يجب على كل عبد أن يقوم بأداء عمله الروحى

إن كان العثور على الخلق الطيب ممكنا بجوار الرائحة الطيبة
لم تكن الأفعى التى تلف بالصندل قاتلة
إن رواء شقائق النعمان أكثر لمعاناً من العقيق
ولكن هذا قدر^(١) إلهى بحيث يعز إنسانا ويذل آخر
إن شعر عبد الرحمن تتلألاً فى الديوان حسنا ورونقا
كما تتلألاً صفائر الحسان فوق الوجه الجميل حسنا وجمالا

“ ٨٦٦ ”

‘ ٧٣ - الاستحلاف بالله ’

فليستحلفنى أحد من الناس بالله العظيم
إذا كان فى بيتى درهم أو دينار
إننى لا أملك الدينار والدرهم فى بيتى
إلا أن أهل العالم يقولون بأننى غنى من الأثرياء
ذلك لأننى لا أرحل من مكاني إلى مكان آخر
ولأننى لست حمالا لمنة مخلوق واحسانه
ما شاهدت الملك الأسفل ولا الملك الأعلى
وليس عندى خبر عن اليمين ولا عن اليسار

(١) قدر: ترجمة كلمة “ بخت ” التى تأتى بمعنى القدر والطالع والحظ والنصيب، ومعنى هذه
السطرة مأخوذ من قوله تعالى: ﴿تَوَتَّى الْمَلِكُ مِنْ تَشَاءٍ وَتَنْزِعُ الْمَلِكُ مِنْ تَشَاءٍ وَتَعَزَّ مِنْ
تَشَاءٍ وَتَذَلَّ مِنْ تَشَاءٍ﴾ سورة آل عمران ٢٦.

الطعام من الماء والأكل يصلنى كالرحى فى مكانى
فى منزل يتم سكونى، وكذلك حركتى
إننى قائم ثابت فى مكانى كالشجرة
سواء أقدم على الخريف أم الربيع
إن التوكل قد لون يدي ورجلي بلون الحناء
فقد أقعدنى ذلك ثابتا فى مكانى
رباه! ما كفته وقدرته لأجلى يصلنى
راحة كانت أم مشقة على التوالى
الذى خلق ثمانية عشر ألفا من الأقوام
فإن ذلك الرب العظيم هو مربى
كل أمر من الأمور متوقف بإرادة الله
وليس بمتوقف أبدا بإرادة شخص آخر
لن يفكر "أحد" ^(١) أبدا فى هم الدنيا
لو كان هناك شيئا يتم باختيار عبد الرحمن

“ ٨٧٧ ”

(١) أحد: من إضافتى والسياق يقتضيها.

‘ ٧٤ - الصديق والأغيار ’

هذا صديق عزيز وهؤلاء أغيار
هذا ورد جميل وهذه شوكة
هذا ورد متفتح وهذه شوكة
هذا منصور^(١) وهذه مشنقة
هذا رقيب متنافس وهذا حبيب
هذا كنز ثمين وهذا ثعبان
هذا عشق مفرط وهذا عقل
هذا غم وهم وهذا حزين
هذا فراق وهجران وهذا وصال
هذا خريف وهذا ربيع
هذه طاعة وعبادة وهذه معصية
هذا نور وضياء وهذه نار

(١) منصور: هو الحسين بن منصور أبو الغيث البضاوى (٣٠٩هـ / ٩٢٢م) ولد فى الطور بالقرب من البيضاء ببلاد خراسان، فيلسوف صوفى، قضى سنوات فى خلوات الصوفية ولا سيما مع التستري وجنيد، سجن وعذب وصلب فى بغداد لاتهامه بالزندقة.

هذا عالم عارف وهذا جاهل
هذا نائم غافل وهذا يقظ صاح
هذا عبد الرحمن وهذا محبوب
هذا طيب ماهر وهذا مريض

“ ٨٨٥ ”

‘ ٧٥ - التذلل لأجل المحبوب ‘

كل عاشق لا يكون ضعيفا متذللا
فى طلب معشوقه المحبوب
فلتكن عمامة هذا النوع من العشاق
صدقة وفداء للعباءة التى تستر بها النساء^(١)
فألف أسف وألف حسارة
ما الألف، بل مائة ألف حسارة
فى أن العاشق فى عشقه وحبه
لا يكون حلالا بالذبح، ولا ميتا كالجيفة
لا يكون فراشة لمصباحه
ولا بلبلا فى روضة الورد

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على للضرورة المعنوية.

لا كالمجنون^(١) مفتضحاً فى عشقه
ولا كالمنصور^(٢) مشنوقاً بالمشسنقة
لا يمكن الجمع بين الاثنين يا عبد الرحمن
إما أن تكون عشيقاً وإما أن تكون غير راغب فيه

“ ٨٩٢ ”

‘ ٧٦ - الوجه المنور ’

ما أجمل هذا الوجه المنور
حيث إنه شمس وقمر
ما أجمل هذه الضفائر المسكية
حيث إنها مسك وعنبر
ما هذه الحواجب المتصلة
حيث إنها مبضع ومشط
ما هذه العيون القاتلة
التي هي سيف وخنجر

(١) المجنون: المراد من المجنون مجنون ليلى الذى يضرب به المثل فى العشق والمجبة. وهو شاعر غزل من أهل نجد. وهو قيس بن الملوح العامري، توفى حوالى ٦٨٨ م. ويعرف بمجنون ليلى نسبة إلى ليلى العامرية التى كان يعشقها، ويكثر من ذكرها فى شعره، رفض أهلها أن يزوجوها به، فهام على وجهه ينشد الأشعار حتى مات. جمع شعره فى ديوان.

(٢) منصور: جاء التعريف به فى ص ٢٣٩ هـ١.

ما هذه الشفائف الخمرية اللون
حيث إنها حمراء وسكر!
ما هذه الأسنان البيضاء الناصعة
التى هى درر وجواهر!
ما أعجب تفاحة الذقن هذه
حيث إنها فضة وثمر!
ما أعظم هذا القيد والقامة
حيث إنهما وردة وعرعر!
ما أجمل هذا الخصر الرقيق الوضع
الذى هو شعر وخصر!
ما أعجب قلب المعشوق
حيث إنه شمع وحجر!
لست أدري.. ما أروع هذا الحبيب
الذى هو قلب وحبيب!
إلهى! ما أجمل هذا الصنم (المعشوق)
حيث إنه صنم وبشر!
ما أروع شعر عبد الرحمن
حيث إنه كنز وفن!

‘ ٧٧ - الروضة الناضرة ’

لن يلدوم تفتح روضة أزهار العمر وبهجتها
ولن تلدوم سوق العمر رائحة دائما
يجرى كنهر أباسيند^(١) قافزا متموجا
وهكذا رحيل العمر يتم سريعا سريعا
كالبرق يكشف عن وجهه سريعا ثم لا يكون
هكذا سرعة سير العمر العديم السكون
إن ما لديه من التمرد يبلغ إلى درجة
لا يستطيع أحد أبدا أن يمسك زمام العمر
ليس لجواده الأصفر حبل ولا لجام
سيسقط فارس العمر في النهاية ذاتيا
يقطع في ساعة مودة عمرها مائة سنة
إن صديق العمر عديم الرفاء بهذا الشكل
من يحسب عمره ويخصيه في قرارة قلبه
فإنه سينظر إلى صورته بعيني الحباب^(٢)

(١) أباسيند: اسم نهر من أشهر الأنهار، يشتهر بأسماء أباسين، وأندوس، والسند أيضا، ويتزد

اسمه كثيرا في الأدب الأفغاني قديما وحديثا.

(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الشطرة الأولى للضرورة المعنوية.

لا أرحل من منزلى إلى مكان ما ولا أسافر
بلا سفر ولا رحيل يتم قطع طريق عمرى
سيتم قطعك فى النهاية بمقراض الأجل
لن يدوم خيط العمر متصلا بلا انقطاع دائما
ليس له فرصة أخرى فى هذه الدنيا يا عبد الرحمن
كل من فاتت فرصته فى العمر

“ ٩١٥ ”

‘ ٧٨ - السعى فى البحث عن المعشوق ’

لقد تنازلت وتجاوزت مضحيا بحياتى^(١)
فى سبيل البحث عن معشوقى
لن أغادر ولن أترك هذا الباب
ما دمت حيا أعيش فى هذا العالم^(٢)
أدور سائرا فى البحث عن الحبيب
محفف الشفتين مبلل العينين
إحدى خطواتى فى البحر
وخطواتى الأخرى فى البر

(١) بحياتى: الحياة ترجمة لكلمة الرأس التى استعملها الشاعر بدلا من الحياة

(٢) قدمت الشطرة الثانية على الشطرة الأولى للضرورة المعنوية.

مسكت كلتا يدي رافعتين
فى أول الليل وكذلك فى السحر
ناجيا فى ذلك ربي
متمنيا أن أرى وجهه الكريم
شاكيا من حظى دائما
مشتكيا عاتبا غير راض
حيث إنه لا يتمنى لى
نظرة واحدة من الأحباب
كذلك لم يقم بتعليمى
فنا آخر غير العشق
إن الله قد كشف عشقى
فى العالم كالشمس
إن توجيه النصيحة إلى
لا تؤثر فى نفسى بمقدار شعرة
اسمع أيها الناصح واصغ إلى
أقول لك باختصار شديد
أقسم بالله مولاي العظيم
كذلك أقسم بروح الرسول ﷺ
لا عودة لى عنه ولا رجوع أبدا
حيث علم العالم أخبار عشقى

سأبذل فداء للعاشق الوطمان
كل ما أملك من الفضة والذهب
نعم، كل ما لدى من النقرة والذهب
ومن الدرر والجواهر
أنا عبد الرحمن أننازل عن كل شيء
ولن أننازل عن محبوب القلب

” ٩٣٢ “

‘ ٧٩ - الشمس والقمر ‘

لقد أشرق القمر من الأعلى والشمس من الأسفل
إن وجه المعشوق هو الذى يشرق فى الأعلى والأسفل
إن الشمس والقمر يتقلبان فوق سريرى
حتى يضع حبيبى رأسه على الوسادة
يمتلئ أذنه من الذهب والفضة والدر والجواهر
عندما يجعل أذنى بدر الدموع درا
عندما أراك تسيل الدموع الغزيرة على وجهى
كما يسيل الشمع الذى يواجه الشمس
ليس للعيون الناطقة المعبرة ذكر آخر
غير هذا الذكر الذى هو ” الله أكبر “
إن النار والماء ضدان، باستثناء شقائق الحبيب
حيث إنها نار وماء من مياه حوض الكوثر

لا توجد فى الخمر طعم حلالة السكر
أما شفاف الحبيب فإنها مزيج من الخمر والسكر
وإن كان يضحك مائة مرة سرا من تحت الشفاف
فإن رواء العقيق والجواهر لا يمكن أن تتستر
إن الله هو الذى قد أعطانى ذلك، وإلا فإنه لا يوجد
مثل هذا الصنم (المعشوق) فى معبد أصنام آزر
سوف أدعوه بعد هذا ملكا من الملائكة
وذلك لأنه لا يوجد مثله فى بنى البشر
إن كان عبد الرحمن يدعى صاحب نظر، فإنه يليق به
حيث إنه على الدوام صاحب نظر إلى وجه الحبيب الأنور

“ ٩٤٣ ”

‘ ٨٠ - الموت والرحيل ’

هكذا يسير الأصدقاء إلى القبر سريعا سريعا
كما تسير القافلة إلى منزلها سريعا سريعا
هكذا يندفع الموت ويهاجمنا سريعا سريعا
كما يحصد المزارعون الحصول الناضج سريعا سريعا
إن هذه الدنيا تتقلب بين الناس سريعا سريعا
كما تتقلب الرمال السائرة بين بعضها سريعا سريعا
هكذا صور وأشكال تهدم وتنهار سريعا سريعا
كما تتساقط أزهار روضة شقائق النعمان سريعا سريعا

هكذا يمر هذا العمر الخلو العذب سريعا سريعا
كما يجري البحر السائر ويسيل سريعا سريعا
لا تذبل أزهار الحقائق هكذا سريعا سريعا
كما يرحل عبد الرحمن عن العالم سريعا سريعا

“ ٩٤٩ ”

‘ ٨١ - القدرة والجرأة ’

لا تجلس جريما بجوار أولئك الذين
لا تتعادل معهم فى القوة^(١)
إن القوى نار وماء، افهم ذلك لألا
تغرق فى الماء، أو تحرق البشر بنار
وإن كانت الحياة لا تستمر من غير الماء والنار
إلا أن أحدا ما وضعهما فوق صدره على الدوام
لم يسير الله السيل إلى منزل إنسان
وإن كان السيل قطعاً من ماء الكوثر
ما اشتعلت النار فى بيت أحد أبدا
وإن كان ضياؤها من ضياء الشمس والقمر

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

ما أكل ثم ترك تلك الشجرة التى
كل جسمها يكون مغربلا بالأشواك^(١)
ما جلس إنسان فى ظل جدار
يقف كصخرة معلقة مشقوقة الأجزاء
أضاع الله وجع الشفرة التى تدخل بطنك
وإن كانت سكيناً أو خنجراً من الذهب الأحمر
لا يجب إلقاء النفس العزيزة إلى البحر
وإلا فإن الدرر والجواهر كثيرة فى البحر
إن المنافع الممنوعة كثيرة فى العالم
والمنفعة الحقيقية منفعة الخير لا منفعة الشر
الثراء الذى لا يكمن فيه الاحترام والعزة
ما أعطى الله أحداً مثل ذلك الثراء من الفضة والذهب
إذا كان القوى يقوم بإيصال فيضه إلى أحد
فاعتقد أن مع فيضه هذا إيذاء وضرر
لا تخدعن بصدقة الأقوياء ومودتهم
إلا فى حالة إذا كنت أنت أقوى من الأقوياء
فإذا كان القوى مغلوباً وأنت غالب
عندئذ ضع فوق رأسه الأقدام

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

أو فى حالة إذا كنت لا تضع قدمك على بابه
ففى هذه الحالة اعتبر نفسك سيدا له
من يعتبر صداقة الأقوياء فنا
فأنا عبد الرحمن احتقر هذا الفن

“ ٩٦٥ ”

‘ ٨٢ - عديم البصر والبصيرة ’

إنه فى نظر عديم البصر والبصيرة
أول الليل ووقت السحر كشيء واحد
نعم^(١)، أول الليل ووقت السحر كشيء واحد
كذلك الحجر والجوهر كشيء واحد
نعم، الحجر والجوهر كشيء واحد
كذلك التراب والذهب كشيء واحد
نعم، التراب والذهب كشيء واحد
كذلك الخير والشر كشيء واحد
إنه فى نظر عديم النظر هذا يبدو
إن كل ذلك متساو كشيء واحد

(١) نعم: هذه الكلمة المكررة ثلاث مرات من إضافة المترجم، والسياق يتطلب تقديرها.

ممن يحسن إليه ويعامله بالحسنى
فإحسانه أسوأ ممن العمل السئ
وممن يسئ إليه، ويعامله بالسوء
فإن ذلك أحسن من الطيب الأجل
إنه لا يتألم بالقول السئ
ولا يعلم شأنه بالطيب الأحسن
وفى كل من الثواب والخطأ
لا يكون له دليل ولا نظير
لا يكون مطلعاً على غيره
ولا يكون عالماً كذلك بضرره
لا يدرك الغيب ولا يعلم به
ولا يعلم الفضل ولا يدركه
ينظر كالأعمى والأبكم ولا يرى
ولا يكون لديه علم ولا خبر
الطاعة والعبادة، المعصية والذنوب
ماذا يعلم عن كل ذلك الحيوان الأبهم؟
الحيوانات العجماء لا تفهم شيئاً آخر
غير القلب فى الزاب أو الرعى فى المروج

هذه أنت يا نفسى " الأمانة^(١) "
التى جعلتنى أعمى وأصم
فقد خرجت كاملة عن مجال العقل
تبحثين عن الدنيا ومتاعها تائهة
إنه لا يقوم بأداء ما فرضه الله عليه
ولا يؤدى كذلك سنة الرسول ﷺ
لا يذكر الموت والهلاك فى قلبه
ولا يفكر فى يوم البعث والحشر
سقطت على الأرض نائما ولا تعلم:
" بأن على سفرا ورحيلا عن الدنيا "
فى كل لحظة يفارقك " أناس "^(٢)
هؤلاء الناس راحلون منك إن كنت تفهم
أين شعرك الأسود ذلك
الذى كان مسكا، كما كان عنبرا؟
قامتك الطويلة أصبحت كالصفصاف المجنون^(٣)
والتى كانت صفصافا وصنوبرا

(١) الأمانة: هذه اللفظة من إضافتى لإيضاح المعنى المطلوب.

(٢) أناس: هذه الكلمة من إضافتى بغرض توضيح معنى البيت

(٣) الصفصاف المجنون: نوع من الصفصاف، أغصانه تميل إلى الأرض وكأنها معلقة.

أصبح جسمك كله خرابا مختلا مضطربا
ولم يتحرك (لم يستقم) قلبك فى الأعلى والأسفل
تجاوز عمرك عن الخمسين، بل الستين
ومع هذا تطلق على نفسك طفلا صغيرا
لا يحرف ولا رعب لديك ولا وجل
ولا تأثير على قلبك لكل ذلك
لن يكون هناك إنسان آخر مثلك أنت
جريئا جسورا شجاعا بلا خجل
لقد أمضيت عمرك فى غفلة
ما صرت على الطريق سائرا ولا مرشدا
أصبحت عبادتك رياء وتظاهرا
كما أخفيت الآلاف من كميات الذهب
فالقلب الذى لا إخلاص فيه للحب
مثله مثل الحجر الذى تم إخفاؤه فى الذهب
وكالبذرة التى توجد فى الفاكهة
فإنها من الداخل حجر، ومن الخارج ثمر
مثله مثلما يختفى فى حبة واحدة من البذر
مائة شوك من أشواك الشجر
مثله كالسحر والشعوذة التى يقوم بها
الساحر المختال والمشعوذ المكار

وكالهيكل أو الصورة التى لا روح فيها
 والتى قام بتصويرها مصور بارع
 وكالقرعة التى لا تحتوى على لب
 والتى داخلها فارغ وجسمها سمين
 وكالكم الذى لا يحتوى على اليد
 أوله كآخره، وآخره كأوله
 كما يكون طائر "دكر" ^(١) بين الطيور
 مزيفاً غير مستقيم ومكاراً خائناً ^(٢)
 وكالعروس التى لا تتمتع بالملوحة والجمال
 والتى تضع فوق رأسها شالاً
 من الذى يعلم ما تحت الشال
 هل توجد تحته ابنة أم أمها؟
 لا تتمتع بالحسن ولا بالجمال
 وتخضع للناس بالحلى والزينة
 وأسفاه، من مثل هؤلاء المخادعين
 الذين هم كالصخر المشقوق المعلق

(١) دكر: اسم نوع من الطيور يشتهر بالخيانة والغدر، يضرب به المثل فى التزييف.

(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الشطرة الأولى للضرورة المعنوية.

الذى نصفه داخل الأرض
والنصف الآخر فى العلو كالجبل
يكون المسواك مغروزا فى عمامته
ويكون الخنجر تحت إبطه
إنه كالحجرة المستورة فى الرماد
مختفية فى عمق العشيب
فى الليل يشرب دم المظلوم
وفى النهار يجلس للوعظ فوق المنبر
قلبه يكون أسود كالمقلاة
ووجهه يكون أبيض كالقمر
يلف ويدور للحصول على المال
ويطلق على نفسه اسم الدرويش
تتردد كلمة التوحيد على لسانه
وقلبه غير مؤكد من التصديق على ذلك
فهو كالتافقين فى ذلك
لا يكون مسلما، ولا يكون كافرا
نعم، لا يكون مسلما، ولا يكون كافرا
لا يكون راضيا ولا يكون غير راض
يسير مضطربا تائها دون علم أو إدراك
من حارة إلى حارة، ومن باب إلى باب

يتردد دائما جيئة وذهابا
على أحياء أصحاب الثراء ومعابرها
فى حارة أصحاب الثراء والمال
يتناول الغنائم ويأكله كالحمار
كذلك كان أورنگ زيب فقيرا
والذى كان فسوق رأسه قبعة حقيرة
فجعل ظهره إلى القبعة
عندما تمكن من أصحاب النفوذ
كان خلق فقره ودروشته إلى الوقت
الذى لم يكن فى يده شئ
فحينما ساعده الفلك فى تهيم الفرص
حينئذ قام بتسخير الملك
فانظرا ماذا فعل وماذا ارتكب
فى حق أهل وعيال والده؟
قتلهم على التوالى واحدا بعد الآخر
”أعنى“^(١) أفراد أسرة ”خورم“^(٢) بكاملها

(١) أعنى: هذه الكلمة من إضافة المترجم، والمقام يتطلبها.

(٢) خورم: حرم وهو الاسم الحقيقى للإمبراطور المغولى شاه جهان والد أورنگ زيب. وقد لقب حرم نفسه بشاه جهان بعد توليه حكم الإمبراطورية المغولية فى الهند.

لم يقتل أفراد أسرة خورم فحسب بل قام بقتل عدد هائل من الناس قام بابتلاع العالم كله وملاً بطنه "أعنى^(١)" كل ما جاء تحت قبضة يده بكثير من الحيل والخدعة والمكر استولى على "بيجاپور"^(٢) و "بهانكر"^(٣) ليس "بيجاپور" و "بهانكر" فحسب بل استولى كذلك على "جنجى"^(٤) و "جنجاور"^(٥) قام بعمليات الهجوم والطرده فى الهند وكذلك هاجم كابل، ويشاور

(١) أعنى: كلمة.أضفتها للتوضيح والربط بين الشطرين.

(٢)بيجاپور: مدينة من المدن التاريخية فى جنوب الهند، وكانت عاصمة لدولة مستقلة باسمها عاشت من القرن ١٥ - ١٧ الميلادى استولى عليها أورنك زيب أيام عادل شاه الثانى أحد أشهر ملوك الأفغان فى الهند.وفيهما توفى أشرف خان ختك شاعر الأفغانية الكبير منفياً.

(٣) بهانكر: أو "باك نكر" اسم "حيدر آباد" القديم، ومدينة "بهانكر" أو "باك نكر" أو "حيدر آباد" من المدن الشهيرة فى الهند، قام ببنائها الملك محمد قلى قطب شاه أحد ملوك الأسر الأفغانية الحاكمة فى الهند.

(٤) جنجى: اسم مدينة من المدن الهندية تدعى "غريز كوت" أيضاً، تقع فى مدراس بالهند.

(٥) جنجاور: اسم منطقة بالقرب من بيجاپور بجنوب الهند.

ثم تذكر فى قلبه وقرارة نفسه
سلطنة الأقاليم السبعة^(١) والاستيلاء عليها
من شدة طمعه وحرصه أصبح كالمعدوم كل
من الملك دارا والإسكندر المقدونى
كان يظن فى خاطره ويتخيل:
" أن أجعل البحر والبحر ملكا لى "
الخلاصة: انقلب يومه وانصرف
وراجهه وقت العصر مواجهه
لم يتحقق مراد قلبه مما أراده وتخيله
ولم يتمكن من أن يبرد الحرارة فى صدره
كل ما كان يملكه قد خلفه من ورائه
ملكا كان ذلك، أو جندا من العسكر
خرج من هذه الدنيا خالى اليدين
مثل المتسول المستجدى من المنسازل
لم يحمل معه شيئا من متاع الدنيا
إلا رداء واحد من الكفن

(١) الأقاليم السبعة: كناية عن العالم كله. جاء فى الكتب الدينية الهندية أن الأرض تنقسم إلى
سبعة أقاليم، كما تحدث عن ذلك كل من أبى ربحان البيرونى وياقوت الحموى من علماء
المسلمين.

سقط على الأرض ضعيفا حيران
من غير الوسادة والفرش
لم يتم فرش حصيرة تحته
كما لم يفرش تحته بساط من الشعر
أصبح ضعيفا خفيفا كريش الطير
بينما كان فى الماضى ثقيلا كالجبل
دفعه السيل فاندفع أمامه
كالقش اليابس أو كريش الطير
بقيت حقوق الناس معلقة فى رقبته
.. حق الجندي، وحق الخادم والأجير
أنا الذى يقرأ الدعاء على روحه
أملا أن يجعله الله ذا حظ سعيد
وجعل الله تعالى من نصيبه
مساء حوض الكوثر العذب
وبعطور الجنة الطيبة جعل
الله دماغه معطرا مفرحا
كان له حق على أهل الهند كلها
كانت الهند ظلمة فكان هو شمسها وضياؤها
فى ضوء هذه الشمس المشرقة ضيائها
كانت الهند كلها مشرقة منورة

كان الناس يقضون حياتهم فى ضوءها
ولم يكن هناك خوف ولا خطر
إلا أنه عندما اتجه بوجهه نحو الغروب
فظهرت الضجة والفتنة والفساد
السجل الذى كان باسم أورنك زيب
أكل الثور ذلك السجل
وقد جاء الآن دور شاه عالم
وأصبح الدوران فى طور آخر
الله وحده يعلم ماذا سيحدث
عندما يحل يوم عاشوراء والعيد؟
تقوم السماء بألعاب منوعة
إن هذه السماء تقوم بتمثيل دور الاعب
تصبح مرة كالسم حينها
وتصبح حينها حلوة كالسكر
والذى حدث، قد حدث
وسيجد ما كان مقدر
ذكرت أنا اسم أورنك زيب
إلا أن هذه الأرض تخص الجميع
كل شخص فى بيته
ملك مطاع، وسيد كبير

كل من هو أهل للدنيا
أكثرهم هكذا على هذا المنوال
هذا البيان كان طويلا بعيد المدى
بينه عبد الرحمن باختصار وإيجاز

“ ١٠٥٨ ”

‘ ٨٣ - طريق العشق ’

إذا كان طريق العشق مفروشا بالأشواك في كل الأوقات
فإن العاشق قد لبس حذاء من النار
إذا كان قد يتم لقاء وردى الخد بالانتظار
فإن عيني أربعة كالندى^(١) من طول الانتظار
إن السيف الحديدي يحتاج إلى ماء نقى ملائم
لأن القرب والحلم أكثر تأثيرا من القوة مائة مرة
أتسبب إلى الله من الكبرياء والطغيان
ما جعل الله أحدا منكوسا مثل نكوس السماء
يعلم الله: ماذا سيحدث في السوق من البيع والشراء؟
لا ينبغي التحدث في البيت عن البيع والشراء في السوق

(١) عني أربعة: كناية عن شدة الانتظار، العاشق يطيل النظر إلى الطريق الذي يحتمل مجيء
المعشوق منه، ومن إطالة النظر وشدة التركيز كأن عينه أصبحت أربعة، فينظر إلى الطريق
بعينه الأربعة. راجع ص ١٧٩ هـ ١ من هذا الكتاب.

هذه المشاكل كلها قد صادفت العاشق
اتهاما كان ذلك أم الملامة والطعن
إن الجفاء والجور، الدلال والتعالى من الحسان
قد قبلت كل ذلك كالدين على نفسى
إن الراحة لم يحصل عليها أحد دون الكد
الغم والسعادة أخ وأخت شقيقان لهذا الدهر
أنا عبد الرحمن مقطوع الأوصال فى سبيل الحبيب
كالأب والأم المقطوعين أوصالا فى سبيل الأولاد

“ ١٠٦٧ ”

‘ ٨٤ - المرقد الواسع ’

إن أردت أن يكون مرقدك واسعا بعد الموت^(١)
فعليك إن قلت حقا أن يكون بيتك واسعا مثله
لا ينبغي أن يكون العمل زائدا أو ناقصا من نفس الإنسان وقدرته
قدر نفسك بالشير لتعرف كم طولك. وكم عرضك
من صار ثوبه أو ملبسه قصيرا أو طويلا
فإن الانتقاد والتقريع يوجه إلى الفنان (الخطاط)
كل شخص قد أخطأ فى الحساب بزيادة أو نقصان
فإن اللوم يوجه إليه وحده من طرف وآخر

(١) فى ترجمة هذه الشطرة شئ من التجاوز حيث بدلت أسلوب الغائب بأسلوب الخطاب.

من يستحق اللوم والعتاب، وتوجيه الاتهام
فإن ذلك فى مكانه إن تمت إهنته، وتم كشف رأسه^(١)
من لا يكون له احترام وعزة فى حياة الدنيا
أحرق " الله " ^(٢) بالنار مثل تلك الحياة
إن الشخص عديم الكرامة لن يحبه أحد أبدا
إلا أن يكون بعض من الناس عديم الكرامة مثله
يفضل مجلسه على جميع المجالس الأخرى
فى أى مكان اجتمع مثل هؤلاء الرفاق
كل جنس يرتاح مع جنسه ويفرح
يخلو كل نقش يتم رسمه فى إبطاره المرسوم
الأعمى يكون بصيرا فى منطقته
المبصرون فى البلد الغريب يصبحون صما وبكما
إن أنت لست ذميم العمل سئ السمعة
ما جلس بجوارك أو ما ورثك إنسان ذميم العمل ردىء السمعة

(١) كشف الرأس: كناية عن الإهانة وفقا للتقاليد الأفغانية.

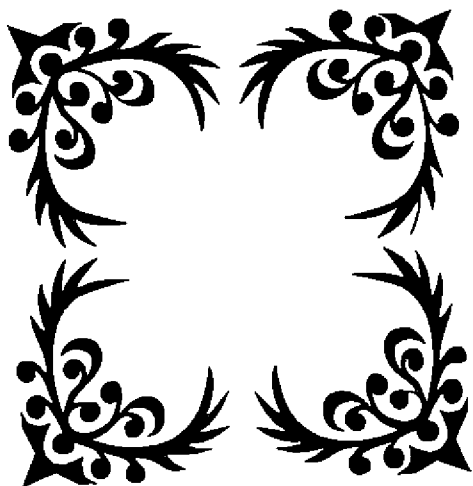
(٢) الله: من إضافتى إظهارا لفاعل الفعل.

إن الجسد كله يتألم لتألم ظفر واحد^(١)
وتتهدم المدينة كلها بتهمة رجل واحد
إن تعلقت سنة واحدة فى الفم أو انخلعت
يصبح الفم كله كريه المنظر بالضرورة
إن أصبح شخص واحد فى الأسرة ملوما
فإنه يسبب اللوم للجميع خمسة كانوا أو أربعة
ما خرج مولود سئ الخلق من بطن أمه
حيث إنه سيسئ إلى اسم الآباء وسمعتهم
كل واحد يطلب سعادة نفسه وسروره من الله
غير أن هذا العمل لا يتم بالقوة والذهب
جعل الله بقدرته أحد الأشخاص كبيرا والآخر صيبا
لا يمكن أن تصبح كل مدينة دهلى أو لاهور
إن الناس يقرضون النقود بعضهم بعضا
لم يقرض أحد أبدا حظه ويخته لشخص آخر
شخص يحمل فوق رأسه تاجا ذهيبا وعلى ظهره خنجرا
وآخر يحمل فوق رأسه حملا وعلى ظهره منجلا

(١) المعنى مأخوذ من قول الرسول ﷺ : " مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم، كمثل الجسم الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمل والسهر ".

شخص يركب فوق ظهر الفرس وأمامه راية
وآخر يدور به الناس مخلوق اللحية راكباً حماراً
لم يكن أحد يذكر اسم الله يا عبد الرحمن
إن كان فى الإمكان أن يقوم الآباء بأوامر الله

“ ١٠٨٨ ”



فَالْأَمَلُ الْكَلْبُ وَالْأَمَلُ الْكَلْبُ

﴿ الْفَخْرُ الْكَلْبُ ﴾

فَالْأَمَلُ الْكَلْبُ وَالْأَمَلُ الْكَلْبُ

٨٥- العيون الساهدة

إن عيونك النعسانة هذه قد اختطفقت النوم منى
وشفائفك العذبة قد انتزعت منى لذة الخمر الصافية
لم يبق عندى دموع، ولا الصبر فى هيكلى
كثرة القلق والجزع قد سلب منى ماء الوجه
إن المطربين ثقبوا قلبى بنغماتهم تثقيبا
وسقاة الخمر قد سرقوا عقلى بنمورهم
إن الساقى والحبيب والمطرب قد اجتمعوا
فاختطفوا قلبى من داخل صدرى بسرعة خاطفة
ماذا حدث إن كان قد أخذ قلبى الثمل، فليكن فداء له
لم يأخذه أحد من الأغراب، بل أخذه منى أحبابى
جعلت خطبك^(١) حروفا سوداء، وجعلت وجهك أوراق كتاب
فانشغالى بكتابك قد اختلس منى الاهتمام بكتاب آخر
كل ما كان عندى من أسباب الزهد والتقوى
فقد استلبتها كلها منى بأسباب حسنك

(١) الخط: هذه الكلمة العربية تأتى فى الآداب الأفغانية بمعنى الكتابة، والرسالة، والخطاب،
والحاجب، والشارب، وتستعمل مضافة إلى كلمات كثيرة، ويتغير معناها بتغيير المضاف
إليه. وهى فى هذا البيت من هذه المقطوعة الشعرية بمعنى الشارب.

كنت قد رسمت أنا عبد الرحمن نقش محراب فى قلبى
فقد انتزعت حواجبك واستولت على نقش المحراب

“ ١٠٩٦ ”

‘ ٨٦ - الهوى وعشق الحبيب ’

هوى الأحباب قد خطف قلبى الثمل خطفا
ومخطوف الهوى لا يدري: من خطف قلبه؟
كل وسيم جميل ينتزع قلبى على انفراد
من الذى أقول له: أنت انتزعت قلبى ؟
القلب الذى كنت أطلب له مقام الضفائر السوداء
فقد اختلسه منى البكاء الملح بسرعة
كيف يستطيع الإنسان أن يأخذه النوم أمام السيل
فقد قام البكاء الملح باختطاف النوم العذب منى
بضاعة الصبر والسكون التى كانت عندى
لم تمنحنى شيئا، فقد أخذها قمرى الوجوه مجانا
إن العقل الذى كان يفاخر بالاستقلالية فى الرأى
فقد ذهب به كأس واحدة من زجاجة الخمر
فإن كان قد ذهب به، فليكن قلبى المتعب فداء له
لأنه لم يذهب به الأغراب، بل ذهب به الأحباب

وإن قلت الحق فإنه لم يقع عليه الظلم أبدا
لأن العشيقه قد ذهبت بقلب عبد الرحمن عن رضا

“ ١١٠٤ ”

